السيارة الملعونة !

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

كان لى — فى وقت من الأوقات — سيارة من طراز لا أعينه « تَسَعُ السَّبعةَ الأقاليم طرّا » ولم تكن بى حاجة الى كل هذه السعة ، فانى ، كما يقول ابن الرومى :

أنا من خف واستدق ، فما يثقل أرضاً ، ولا يسـدّ فضاءَ

وكنتُ إذا اتخذتُ مجلسى فيها لا أملأ إلا إصبعين منها ، وكانت زنتها نحو طنين ، أو بضعة قناطير ، وأدع للقارىء حساب ذلك ، فمالى قِبَلٌ بالحساب أو صبرٌ عليه ؛ وما حاجة مثلى الى الحساب والبراعة فيه وكل أشيائى تعد بالآحاد ، فان كثرت جداً فبالعشرات ؟؟ فأنا أكسب المال قرشاً قرشاً ، وأنفق ما أكسب حتى قبل أن يصير فى كفى ، فما يستقر منه فى جيبى شىء ، فكأنى ساعى بريد ، لغـيره لا له مايتعب فى حمله ويحنى قدميه وهو يدور به على البيوت ! وما رأيت فى حياتى ورقة عائة جنيه ! وللبنك الأهلى غرف منحدرة فى الأرض ، ولها نوافذ عليها شُبّاكة من السلك المنسوج ، وحديد متعارض ، فهى تؤدّى الضوء ولا تنفذ منها اليدُ مع الأسف ! وفى هذه الغرف تجلس فتيات الى مكاتب صغيرة عليها حزم مكدسـة من أوراق النقد المختلفة يختمنها بختم المدير أو لا أدرى ماذا يطبعن عليها ، وكثيراً ما أقف بهذه النوافذ وأنظر الى الفتيات ، أو على الأصح الى الأوراق — أعنى الى الثروات — التى فى أيديهن ، فأتنهد وأتحسر ! وماذا تخسر الدنيا — أوالبنك فانه هوالدنيا فى تلك الساعات — إذا انتقلت الى يدى بقدرة ربك — أو بعطف إحدى الفتيات — حزمة واحدة من هذه الأوراق الكبيرة ؟؟ أيفلس البنك ؟ كلا ! أيقل الورق المتداول ؟ كلا أيضاً ! فانى بارع فى إتلاف المال ، فاذا صار فى يدى كثر التداول ولم ينقص ، ولقد فتنني منظر الورق مرة فطال وقوفى ونفد صبرى ، وخرج الرشد من أصابع كفى ، فصحت بالفتاة الجميلة : « هش . . . . هش . . . ! »

فرفعت رأسها الى النافذة ونظرت ثم ابتسمت وعادت الى ما بين يديها

فعدت أصيح بها : « هش . . . . هش . . . . !

فصعّدت عينيها مرة أخرى فأسرعت أقول : « يابنت الحلال ! إن مُنى النفس جميعاً فى حزمة من هذه الحزم الكثيرة — وفيك أيضاً لو تجودين ! — فهلا أعطيتنى مما أعطاك الله ؟ » ولا أدرى ماذا كان جوابها ، فقد شعرت بيد غليظة على كتفى ، فالتفت ، فاذا شرطى ضخم ، فقلت لأطمئنه : « منظر جميل جداً ، إن البنات يعملن بسرعة عجيبة . وأقول لك الحق ، إنهن جميلات ! من أين يأتى بجمعنهم ؟ ألا تعرف ؟ لشد ما أتمنى أن يكون عندى ولو عشرين حزمة — أعنى بنتاً — من أمثالهن ! »

فضحك ، وسرنى ضحكه جداً ، فحييته بأدب جم ولطف كثير ، وتواضع جميل ، وقلت وأنا أودعه :

« اجعل بالك الى . . . . اليهن ، لاتدعهن يغبن عن عينك ! فان لى فيهن والله لمآرب ! إيه ما أحلى أيديهن الرخصة البضة ! ليتنى أستطيع أن أضع كفى على كف واحدة منهن ! ألاتتمنى ذلك ياصاحبى ؟ متع عينك بالنظر يا أخى ! متعها ، متعها ! وهل أقل من النظر ؟ »

* * *

ولـكن سيارتى ، تلك على جمالها وضخامتها وسعتها ، أرتنى النجوم فى الظهر الأحمر ، ذلك أنها كانت تستنفد من البنزين والزيت كل ماهو معروض فى دكاكينهما على طريقها ، ثم لا تشبع ، حتى لقد فكرت فى أن أصل خزانها بآبار الموصل ! وكثيراً ما هممت بأن أغالطها وأدور من وراء خديعتها ، وأملأ لها خزانها ماء بدلاً من البنزين ، وأنا أقول لنفسى : « ومن أدراها أن هذا ماء لا بنزين ؟ » ثم إن خزان الماء كان يغلى كالمرجل بعد دقائق قليلة من السير ، فتبدو لى علامة الخطر الحمراء ، فأقف وأغير لها الماء ، ثم أستأنف السير ، وهكذا ، وهذا فى الشتاء فكيف بها فى الصيف ؟ ولهذا صرت أشترى الثلج ، وأفتته ، وأحشو به خزانها بدلاً من الماء ، ولا أركبها إلا ومعى ذخيرة كافية من ألواح الثلج على المقاعد الخلفية

ولو اقتصر الأمر على هذا لهان الخطب ، ولأمكن احتمال المصاب ، ولـكن محاور العجلتين الخلفيتين كانت مبريةَ المسالیط

والأسنان التي تنشب و العجلة وتعلق بها فلا تدعها تفلت ، ولم أكن أعلم هــذا ؟ وأنى لى أن أعرفه وهو شيء محجوب لا يبدو لعين الناظر ؟ وكان فــد هذه الأسنان لا يُحدث أثره إلا وأنا فى أرض خلاء ، لا أنيس فيها ولا ديار بها ، فأكون سائراً مغتبطاً راضى النفس ، منشرح الصـــدر ، وفى يمينى سيجارة أنعم بتدخينها ، وفى عينى ابتسامة عذبة ، وعلى لسانى — أو شفتى ، لا أدرى — ألحان أغنية جميلة ، وأكون قد خرجتُ من العمران ، وأطلقت لها العنان لتنهب فضاء الصحراء — حيث كنت أسكن — وإذا بصوت يقول « كركركركركر . . . » وإذا باحدى العجلتين الخلفيتين قد خرجت من محورها وذهبت تجرى وحدها فى الطريق وإذا أنا مائل على جنبى ! فلولا حضور ذهنى ، وسرعة خاطرى ، وثبات جنانى ، لانقلبت بى السيارة ، ولانتقل المازنى — بعد أن يجدوه — إلى رحمة الله ، أو على الأقل إلى المستشفى ! . .

وأفتح الباب ، وأترجل ، وأدور بها لأنظر ماذا حدث ، ثم أقول :

« شيء جميـل ! ولـكن هل كان من الضرورى جـداً أن تصنع هذا هنا على الخصوص ؟ ألم يكن من الممكن أن يحدث هذا فى شارع محمد على ، أو القلعة ، أو غيرهما ، حيث الناس يروحون ويجيئون بلا انقطاع ؟ أو أمام البيت على الأقل ؟ سبحان الله العظيم ! ما هذه الطباع الصبيانية ؟ ! »

وأذهب أبحث عن العجلة الطائرة ، ثم أدحرجها عائداً بها ، وأخلع المعطف والسترة ، وأرفع الأكمام ، وألبس ثوب « العمل » الأزرق ، فقد احتجت إليه فحرصت عليه ، وأخرج الآلة الرافعة ، وعلبة الرزّات[1] ، وأحمـد الله على أن المحور سليم لم ينكسر ، وأرد العجلة الى مكانها ، ثم أتوكل على الله وأستأنف السير .

ولـكن ما كل مرة تسلم الجرة ، فكنت كلما ازددتُ احتياطاً لهذه المفاجآت ، زادتنى هى افتناناً فى الحيل والمكر السيء ، وقد اضطررت أن أتخذ لى خادماً يصحبني فى السيارة ليعيننى على بلائها ، فحدث مرة وأنا عائد الى البيت ، وكان الوقت منتصف الليل ، أن كركرت العجلة — على عادتها — وطارت فى ميدان الأوبرا . فوقفت فى وسط الميدان ، وأمرت الخادم أن يصلح ما فسد ، ورحت أنا أتمشى على الافريز وأدخن سيجارة حتى يفرغ من هذا الأمر ، فجاءنى يقول ان المحور قد انكسر !

قلت : « همم ! شيء جميل ! خبر سار جداً . الثلج حملناه ، والبنزين هذه ذخيرته وراءنا كأنا على سفر الى القطب الشمالى . فلم يبق إلا أن نحمل معنا دكاناً كاملاً من أدوات السيارات والقطع اللازمة لها ! لا بأس ! غداً إن شاء الله نفعل ذلك . أما الليلة فعليك ياصاحبى أن تدخل فى السيارة وتغلقها عليك — أبوابها ونوافذها فان البرد شديد — وتحضن العجلة المتمردة وتنام الى الصباح ، وإنه ليؤسفنى أن لا أنيس لك فى هذا الميدان الموحش سوى تمثال إبراهيم باشا ، ولـكنه كان بطلاً ، فاحلم بوقائعه الى الصباح . . . عم مساء والى الملتقى ! »

* * *

وأقسمت لأبيعنها ، فما بقى لى على ألاعيبها صبر ، ومضيتُ بها — بعـد إصلاح محورها — إلى الدكان الذى اشتريتها من صاحبه ، وقلت له « بعها بأى ثمن ! فما يعنينى إلا أن أتخلص منها »

وكان بيني وبينه ود ، فسألنى « هل تبيعها بنصف ثمنها ؟ »

قلت : « وبثلثه — بل بربعه ! »

قال : لا لا . حرام . انها سيارة فخمة ! ولو عرضتها بهذا الثمن الزهيد لظن الناس الظنون ، ولتوهموا أن فيها عيباً لا يداوى ؛ وأخلق بهم حينئذ أن ينصرفوا عنهـا ويزهدوا فيها » فسألته « بكم تنوى إذن أن تعرضها ؟ »

قال : « بمـائة جنيه ـ »

فصحت « ياخبر اسود ! بمـائة ؟ إن هذه سرقة ! »

قال : « لا تكن أبله . . . . مالك أنت ؟ »

وبقيتْ عنـده أسابيع ، لا يشتريها أحد ، فمررتُ به يوما فألفيته خارجاً ، فرجا منى أن أنتظره حتى يعود . . . دقائق لا أكثر . . . وأخبرنى أن سيدة ستحضر ، فاذا جاءت قبله ، فعلىّ أن أستقبلها وأحييها حتى يرجع

وذهب . وجاءت السيدة ، فلم يسعنى إلا أن أنهض لاستقبالها ، لا لأن صاحب الدكان كلفنى ذلك ، بل لأنها كانت أجمل من أن يستطيع امرؤ أن يجرؤ على إهمالها ، فقالت :

« هل أنت المسيو . . . ؟ »

(١) الرزة حديدة تدخل فى القفل أو نحوه ، وقـد استعملتها هنا لما يسمونه « التيلة »

قلت : « ليتني كنته ! إذن لربحت في العام ثلاثة آلاف من الجنيهات ! كلا ! لقد خرج وسيعود بعد قليل جداً ... تفضلي ! »

فأجالت عينها حتى وقعت على سيارتي فقالت

« هل هذه معروضة للبيع ؟ »

قلت « أظن ذلك ! أعني نعم ! »

قالت « إنها جميلة .. ضخمة .. فخمة ... (وفتحت بابها) وثيرة المقاعد .. بديعة .. كم ثمنها ؟ »

فتنحنحت وقلت « إ ... أ ... ثمنها ! إ ... مائة جنيه ! »

قالت « ثمن معقول .. ليست بغالية »

قلت « ولكنها لا تصلح لك .. أعني أن عيوبها فظيعة ! »

قالت « عيوبها ؟ إنه لا عيب فيها ! »

قلت « الماء يغلي بعد دقائق »

قالت « طبيعي ... »

قلت « تحرق وقوداً كثيراً .. تحتاج إلى جالون من البنزين كل أربعة أمتار »

قالت « لا تبالغ ... إنها كبيرة ضخمة ، فمن المعقول أن تحتاج إلى وقود كثير »

قلت « والعجل يطير أثناء السير »

قالت « أوه ! ما هذا الأسراف في الطعن ؟ هل أستطيع أن أجربها ؟ »

فخرجت بها ، ودرنا بها دورات ، ولم أرحمها — أعني السيارة — لأبرز لها — أعني للسيدة — عيوبها — أعني السيارة هذه المرة — فما كان في السيدة هنة ، ولكنها كانت كأنها مسحورة ، فلا البنزين القليل الذي وضعته فيها نفد ، ولا الماء غلا ، ولا العجلة طارت

وقالت السيدة « أترى كيف كنت تبالغ ؟ إن ماءها بارد كالثلج ! ولا يزال أكثر البنزين باقياً ، والعجلة في مكانها ثابتة . لو كان كل تاجر يصد الزبائن كما تفعل ، لخرب ! »

فلم تبق لي حيلة ، وجاء صاحب المحل فتمت الصفقة ، وحسب لي نصيبي من الثمن ، مقدمة لثمن سيارة أخرى ...

ولا أدري ماذا كان من أمر السيارة مع هذه السيدة المسكينة ولكنه لا ذنب لي ، فقد حذرتها وأنذرتها ، وأبرأت ذمتي

إبراهيم عبد القادر المازني

حجر بهشتون

مفتاح الكتابة المسمارية

بقلم الأستاذ كوركيس حنا عواد

١ — تمهيد

لئن كان حجر رشيد وثيقة تاريخية خطيرة الشأن أدّت إلى فكّ رموز الكتابة الهيرغليفية [١] ، وفتحت ما استغلق من الدنية المصرية القديمة وأوضحت ما أشكل فيها ، فان حجر بهشتون يعتبر ولا مراء وثيقة هامة جداً موازية لرفيقتها في المكانة ، لكونها أدّت إلى فك رموز الكتابة المسمارية ، وأنارت السبيل أمام العلماء والباحثين للتطلع إلى الماضي البعيد والتعرّف بالدنيات الأشورية والبابلية . . .

على الطريق الرئيسية الموصلة بين بغداد وطهران ، يقع هذا الأثر المدهش الذي هو من أعظم الآثار التاريخية في آسيا . ويبعد عن همدان [٢] بمسافة ٦٥ ميلاً ، وعن كرمنشاه باثنين وعشرين ميلاً

وعُرف هذا الصخر قديماً باسم جبل باغستان البالغ ارتفاعه ٣٨٠٠ قدم . وقد أُطلقت هذه التسمية على هذا الأثر نظراً لوجود تلك القرية الصغيرة المسماة بهشتون عند أسفل الصخر ، وأصبحت هذه التسمية هي المتعارفة بين علماء الآثار والتاريخ من الأجانب .

وكان السر هنري رولنسن Sir H. Rawlinson قد استعار هذه التسمية من ياقوت الحموي الذي أتى في معجمه الجغرافي على ذكر هذه القرية وينبوعها فقال : « . . . قرية بين همذان وحلوان . . . وجبل بهستون عال مرتفع ممتنع لا يرتقى إلى ذُروته . . . ووجهه من أعلاه إلى أسفله أملس كأنه منحوت ، ومقدار قامات كثيرة من الأرض قد نحت وجهه وأُملس ، فزعم بعض الناس أن بعض الأكاسرة أراد أن يتخذ حول هذا الجبل

(١) أنظر بحث الأستاذ عبد الفتاح الزيادي : حجر رشيد والقلم الهيرغليفي ، (الرسالة ٢ : ٤١١ — ٤١٤)

(٢) همدان مبنية فوق بقايا المدينة التي كان يسميها الفرس «هاكاتانا» ومعناها « ملتقى الطرق الكثيرة » . أما اليونانيون فقد دعوها «اكبتانا» وسيرد ذكرها في هذا البحث